الأبناء

إنَّ علاقةَ الآباء والأمَّهات بأبنائهم وبناتهم هي علاقةٌ لا مثيلَ لها في الحياة، وهي علاقة تكوِّنُ شخصيَّاتِ الأبناء والبنات، بل تَنحَتُ أدمِغَتَهُم نحتًا. إنَّ علاقاتِ التعلُّق والارتباط التي تنشأ ما بين الأطفال وآبائهم وأمَّهاتهم وكلَّ مقدِّمي الرعاية والشخصيَّات المهمَّة في حياتهم تَصوغُ شخصيَّاتِهم ونظرتِهم إلى أنفسهم وإلى الحياة عمومًا، وتُكوِّنُ قدراتهم على إدارة مشاعرهم وسُلوكهم وحياتهم كلِّها في ما بعد.

ومن خُطوة إلى التالية في مراحل العُمر المختلفة، تتلوَّنُ طبيعة العلاقة بالآبناء بألوانٍ خاصَّةٍ تختلطُ فيها

البهجة والاستمتاع، بالألم والإحباط، ولا سيَّما عند ظُهور التحدِّيات المختلفة.

وفي أثناء هذه العلاقة، يتعلَّم الأبناءُ والبناتُ كُلَّ شيءٍ عن الحياة، مثلَ الأكلِ والشُّرب والصحَّة والأمراضِ والاهتمامِ بالجسد. كما يتعلَّمون عن المشاعر على تنوُّعِها وأساليبَ التَّعبير عنها. ويتعلَّمون أيضًا الكلامَ واللغةَ والتفكير، ويستوعبون بالتَّدريج مبادئَ الحياة والعلاقات والمجتمع والدِّين.

ومن جهةٍ أُخرى، يتعلَّمون عن نَوعهم وجنسهم وعن الجنس الآخر وطبيعة العلاقة ما بين الجنسَين. ويتعلَّمون كذلك الاجتهادَ والمسؤوليَّةَ، أو ربَّما لا يتعلَّمانِهما. كما يتعلَّمون الصبرَ أو سُرعةَ نَفادِ الصبر، الاحترام أو غيابه، الحنانَ أو الجَفاءَ، ويشعرون بقيمةِ كلِّ هذه الأُمورِ عندما يَرَونها في عُيون الأهل، ويتشكَّكون في قيمتها، أو حتَّى في جدوى الحياة، حينَما لا يَثِقون بمحبَّة آبائهم وأمَّهاتهم وقبولِهم لَهُم.

لو عَلِمَ الآباء والأمَّهات مقدار تأثيرهم الممتدِّ في تلك البراعم التي تتفتَّح في كنفهم، لبَذَلوا أقصى الجَهد

ليتعلَّموا تعليمًا نظريًّا عن الأبوَّة والأمومة وتربية الأطفال، ولحَرَصوا كذلك أن يكونوا، هُم أنفسهم، من نَوعيَّةِ البشر التي يتمنَّون أن يكون أبناؤهم وبناتهم علَيها.

وأفضلُ أمرَينِ يفعَلانهما الوالدان لأولادِهما هما: أوَّلًا، أن يكونا، هُما أنفسهما، شخصيَّاتٍ متَّزنةً مُحِبَّةً وودودة ذات قِيَم ومبادئ يَعيشانِها، وثانيًا أن يُحِبَّا بعضُهما بعضًا؛ فالمحبَّةُ والتراحُم يَصنَعان التُّربةَ الرَّطِبَةَ الغنيَّة التي يمكن فيها أن ينبتَ الأطفال يترَعرَعوا كنَبْتاتٍ صحيحةٍ نامية.